والمراد بالمجادلة هنا المجادلة بالباطل بقرينة السياق فمعنى (في آيات ا) في صدق آيات ا بقرينة قوله (تنزيل الكتاب من ا العزيز العليم) فتعين تقدير مضاف دل عليه المقام كما دل قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام (يجادلنا في قوم لوط) على تقدير : في إهلاك قوم لوط فصيغة المفاعلة للمبالغة في الفعل من جانب واحد لإفادة التكرر مثل : سافر وعافاه ا وهم يتلونون في الاختلاق ويعاودون التكذيب والقول الزور من نحو قولهم (أساطير الأولين) (سحر مبين) (قول كاهن) (قول شاعر) لا ينفكون عن ذلك . ومن المجادلة توركهم على الرسول A بسؤاله أن يأتيهم بآيات كما يقترحون نحو قولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا ينبوعا) الآيات وقولهم (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) الآيات .

وقد كان لتعلق (في) الظرفية بالجدال ولدخوله على نفس الآيات دون أحوالها في قوله (ما يجادل في آيات ا) موقع عظيم من البلاغة لأن الظرفية تحوي جميع أصناف الجدال وجعل مجرور الحرف نفس الآيات دون تعيين نحو صدقها أو وقوعها أو صنفها فكان قوله (في آيات ا) جامعا للجدل بأنواعه ولمتعلق الجدل باختلاف أحواله والمراد الجدال بالباطل كما دل عليه تنظير حالهم بحال من قال فيهم (وجادلوا بالباطل) فإذا أريد الجدال بالحق يقيد فعل الجدال بما يدل عليه .

والمعنى : ما يجادل في آيات ا أنها من عند ا إن القرآن تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا وإنما هو تلفيق وتستر عن عجزهم عن ذلك واعتصام بالمكابرة فمجادلتهم بعدما تقدم من التحدي دالة على تمكن الكفر منهم وأنهم معاندون وبذلك حصل المقصود من فائدة هذا وإلا فكونهم كفارا معلوم .

وإظهار اسم الجلالة في قوله (ما يجادل في آيات ا) دون أن يقول : في آياته لتفظيع أمرها بالصريح لأن ذكر اسم الجلالة مؤذن بتفظيع جدالهم وكفرهم وللتصريح بزيادة التنويه بالقرآن .

وفرع قوله (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) على مضمون (ما يجادل في آيات ا إلا الذين كفروا) لما علمت من أن مقتضى تلك الجملة أن يثير في نفس من يراهم في متعة ونعمة أن يتساءل في نفسه كيف يتركهم ا على ذلك ويظن أنهم أمنوا من عذاب ا ففرع عليه الجواب (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) أي إنما هو استدراج ومقدار من حلم ا ورحمته بهم وقتا ما أو أن معناه نحن نعلم أنهم يجادلون في آياتنا إصرارا على الكفر فلا يوهمك تقلبهم في البلاد أنا لا نؤاخذهم بذلك .

والغرور : ظن أحد شيئا حسنا وهو بضده يقال : غرك إذا جعلك تظن السيىء حسنا . ويكون التغرير بالقول أو بتحسين صورة القبيح .

والتقلب : اختلاف الأحوال وهو كناية عن تناول محبوب ومرغوب .

و (البلاد) الأرض وأريد بها هنا الدنيا كناية عن الحياة .

والمخاطب بالنهي في قوله (فلا يغررك) يجوز أن يكون غير معين فيعم كل من شأنه أن يغره تقلب الذين كفروا في البلاد وعلى هذا يكون النهي جاريا على حقيقة بابه أي موجها إلى من يتوقع منه الغرور ومثله كثير في كلامهم قال كعب بن زهير .

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأماني والأحلام تضليل ويجوز أن يكون الخطاب موجها للنبي A على أن تكون صيغة النهي تمثيلية بتمثيل حال النبي A في استبطائه عقاب الكافرين بحال من غره تقلبهم في البلاد سالمين كقوله (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) .

والمعنى : لا يوهمنك تناولهم مختلف النعماء واللذات في حياتهم أننا غير مؤاخذينهم على جدالهم في آياتنا أولا يوهمنك ذلك أننا لا نعلم ما هم عليه فلم نؤاخذهم به تنزيلا للعالم منزلة الجاهل في شدة حزن الرسول A على دوام كفرهم ومعاودة أذاهم كقوله (فلا تحسبن ا غافلا عما يعمل الظالمون) وفي معنى هذه قوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وتقدمت في آل عمران .

(كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسلهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب [5]) A E